سير أعلام شهداء الثورة السورية

الشيخ المعتصم بالله المدني
أبو محمد رحمه الله تعالى



1440 هـ

جمع و ترتيب أبي الوليد الحنفي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و آله و صحبه و من والاه و بعد فإن هذه الأمة أمة مرحومة عظيمة لا تزال تنجب الأبطال و تلد العظماء و لا يزال الله يخلق فيها أناسا ليس لهم هم إلا إرضاء الله سبحانه و تعالى يستعذبون في سبيل ذلك العذاب و يستحلون من أجله المر ويبذلون الغالي و النفيس لإعلاء كلمة الله و نصر دينه و الدفاع عن الحرمات و المقدسات و نصر المظلومين و مساعدة المضطهدين لا يكترثون بالمصاعب و المشاق و العقبات التي تعترضهم يسمعون طعن الطاعنين و إرجاف المرجفين و تخذيل المخذلين فلا يلقون له بالا ولا يشغلون به قلبا فعقدهم مع ربهم تبارك و تعالى لا يقيلون و لا يستقيلون فسيرة هؤلاء دواء للقلوب و أخبارهم رفع للهمم و قصصهم منارات يهتدي بها من يلحقهم من الأجيال و لازال أهل العلم يعتنون بتسجيل سير العلماء و أخبارهم لما في ذلك من الفوائد العظيمة الجمة الغفيرة التي تعود على المسلم الفرد و مجتمعه فقد ألف العلماء في القديم و الحديث كتبا في تراجم الصحابة فمن بعدهم فمما ألف في تراجم الصحابة الطبقات لابن سعد و الاستيعاب لابن عبد البر و الإصابة لابن حجر و صور من حياة الصحابة لعبد الرحمن رأفت باشا و هو من المعاصرين وغير ذلك كثير و من الكتب العظيمة المهمة الغزيرة الفوائد التي ترجمت لصحابة و غيرهم حلية الأولياء و طبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني و اختصاره صفة الصفوة لابن الجوزي وسير أعلام النبلاء للذهبي و هو من أنفع الكتب و أجلها

و قد من الله على المسلمين في الشام فانطلقت الثورة الشامية المباركة سلمية ثم تحولت إلى جهاد عظيم مع بطش النظام النصيري و وحشيته و قد رأينا في هذا الجهاد رجالا ذكرونا بالرعيل الأول المبارك في البذل و العطاء و التضحية و الزهد في الدنيا و الإعراض عن مباهجها و زخارفها و عدم الاغترار بنعيمها الزائل و متاعها الفاني مع الشجاعة في ذات الله و الصدع بالحق و الوقوف في وجه الظلم و الظالمين ثم ختمت حياتهم بالشهادة فاستشرت عددا من طلبة العلم والقادة العسكريين المعرفين في الساحة بالصدق والإخلاص فكلهم أيدني في ذلك وحضني عليه فشمرت عن ساعد الجد بعد الاستعانة بالله تبارك و تعالى و بدأت بالتواصل مع معارف الشهداء و أقربائهم لجمع سيرهم فتحصل من ذلك عندي خير كثير و قد رأيت أن أبدأ بذكر الشيخ المعتصم بالله المدني حيث أن استشهاده هو الذي دفعني لكتابة هذه التراجم و سأذكر بإذن الله في بداية كل ترجمة الشهود الذين اعتمدت على روايتهم في تدوين سيرة المترجم فأما الذين اعتمدت على شهادتهم في سيرة الشيخ المعتصم فهم:

الشيخ أبو شعيب المصري.

الأخ أبو البراء المشعلي.

الأخ أبو العبد أشداء.

الأخ حمزة عترو.

القاضي أحمد سالم البدراوي.

القائد العسكري بحري.

الدكتور عبد الله المحيسني.

الأخ أبو النصر المصري.

الأخ أبو بكر مرافق الشيخ المعتصم.

القائد العسكري أبو قتيبة الشامي.

القائد العسكري أبو محمد حماش.

أمير قطاع حلب الأخ أبو إبراهيم سلامة.

الأخ أبو ناصر المدني

زوجة الشيخ أم محمد فقد زارتها زوجتي و نقلت لي شهادتها.

بالإضافة إلى معرفتي الشخصية بالشيخ رحمه الله

بالإضافة إلى بعض قنوات التليجرام و قد ذكرت في موضعها .

الشيخ المعتصم بالله المدني : هو الشيخ المفضال المجاهد الشجاع الأديب الخلوق المهذب الصادع بالحق القاضي العادل المعتصم بالله المدني أبو محمد.

مولده ونشأته: ولد الشيخ المعتصم في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشأ وترعرع في أسرة عرفت بالعلم و الفضل و الوجاهة

أتقن حفظ القرآن و عمره خمسة عشر عاما كما حفظ متون طالب العلم الشهيرة على الشيخ عبد المحسن القاسم

كان رحمه الله جادا في حياته منذ صغره متباعدا عن اللهو و اللعب و تضييع الأوقات فلم يكن له شباب يلهو أو يخرج معهم في رحلات إلى البر أو الصيد فقد كان قبل نفيره إلى الجهاد يبدأ يومه بصلاة الفجر إماما في مسجده ثم يذهب إلى جامعته فيضع كتبه على المقعد الأول _ فما كان يرضى أبدا أن يسبقه أحد إلى المقعد الأول _ثم يعود إلى منزله فإذا حان وقت الدوام في الجامعة ذهب إليها و جلس حيث وضع كتبه أولا يتلقى العلم عن أساتذته و أشياخه ثم يرجع إلى منزله بعد الظهر فيتغدى ويقيل و بعد العصر يمضي وقته في الدراسة و المطالعة و المذاكرة حتى يؤذن المغرب فيذهب إلى الحرم النبوي ويجلس مع شيخه يسأله و يستفتيه إلى أذان العشاء فيصلي العشاء ويجلس لدرس الشيخ الذي كان يعقده بعد صلاة العشاء.

زواجه : تزوج الشيخ المعتصم بزوجته الأولى في المدينة و قد رزقه الله منها بابنته نورة التي لم يرها أبدا إلا في الصورة فقد هاجر وزوجته حامل بها و عندما كانت زوجته ترسل له صورة نورة كان يتأملها بحب شديد و شغف و يمضي وقتا ليس بالقصير وهو يحدق بها يكبر كل جزء في الصورة ثم يصغره .

وبعد هجرته إلى الشام بقرابة عامين تزوج بامرأته الثانية أم محمد عن طريق أخيها وذلك في آخر عام 2014م و رزق منها ببنتين الأولى حنين مواليد 2015 وهي أكثر أولاده شبها به و أكثرهم تعلقا به .

والثانية نسيم مواليد 2016

وصبي اسمه محمد وهو من مواليد 2018 و بعد تزوج الشيخ بيوم واحد اقتحم الجيش مخيم حندرات فترك عروسه وخرج ليشارك في صد الجيش و لم يعد إلى بيته إلا بعد أسبوع .

و كان الشيخ المعتصم قبل استشهاده يريد أن يتزوج بأرملة شهيد عندها أيتام فقيل له: يا شيخ أنت ترى خطورة الوضع الآن و شدة القصف و الحملة الهمجية للجيش النصيري فهلا أجلت ذلك فقال إني لا أريد الزواج لذاته ولكن لأرزق أولادا يجاهدون في سبيل الله وأحصل على ثواب كفالة اليتيم و الله إني أتمنى أن أتزوج أربع نسوة تلد كل واحدة منهن عشر رجال كلهم يجاهدون في سبيل الله.

هجرته : لما من الله على المسلمين في الشام في الجهاد أراد أن ينفر إلى الجهاد فسافر الشيخ المعتصم من السعودية إلى تركيا و من تركيا دخل إلى سوريا عن طريق التهريب كما هي العادة وأثناء دخوله شعر به حرس الحدود (الجندرما) الأتراك فبدؤوا بمطاردته وأخذ يفر منهم حتى أنجاه الله منهم ولكنه فقد حقيبته وفيها حاجياته كما علقت رجله ببعض الأسلاك الشائكة وجرحت جرحا عميقا كبيرا ولما دخل سوريا استقبله الأخ أبو المثنى المدني و أخذه إلى المستشفى وهناك خيطت رجله بثماني قطب ثم اصطحبه إلى مقر جيش المهاجرين و الأنصار وما إن وصل حتى بدأ التعليم و الفتيا حيث كان بعض المجاهدين يتحدثون في مسألة في التيمم فوجهوا إليه السؤال فأفتاهم .

ثم قرر أن يدخل معسكرا ليتدرب على استخدام السلاح و يقوي لياقته البدنية فمنعه أمير الجيش من ذلك حتى لا يبتعد عنهم طيلة فترة المعسكر فكان يتدرب يوميا مع مدرب خاص من بعد صلاة الفجر إلى العاشرة صباحا.

تعيينه شرعيا عاما لجيش المهاجرين و الأنصار: ثم تم تعيينه شرعيا عاما لجيش المهاجرين و الأنصار و في هذه الفترة ولم يكن مضى على دخول الشيخ المعتصم كثير وقت أعلن الدواعش دولتهم المزعومة ولم يكونوا أظهروا وجههم الحقيقي بعد للناس وكان عدد من رؤوس الخوارج يزورون الشيخ المعتصم و منهم عمر الشيشاني و عثمان آل نازح وقد حاول الدواعش بشتى الوسائل ومختلف الطرق أن يقنعوه بمشروعهم و يحثونه على الانضمام عليه فكان يرفض رفضا قاطعا لما يرى من كثرة مظالمهم وتهاونهم بالتكفير و الدماء وكانت المناطق بين الدواعش وبين بقية مكونات الثورة متداخلة ولم يبدأ الصدام العام بعد فكان إذا جاءه شخص قد ظلمه الدواعش أخذ بيده و ذهب إلى الدولة فناظرهم و ناقشهم و بين لهم ما هم فيه من الخلل و الانحراف وكان عدد من المناظرات يجري بوجود الشيخ المحيسني و من خلال هذه المناظرات اتضح للشيخ المعتصم فساد منهجهم و عوار مذهبهم و سوء طريقتهم فأعلن في جيش المهاجرين أن هؤلاء القوم غلاة ظلمة وقد أحدثت فتواه هذه بلبلة كبيرة في جيش المهاجرين و الأنصار حيث أن الرأي السائد في جيش المهاجرين و الأنصار كان خلاف ذلك ومع ذلك وقف ضد التيار و واجه مخالفيه و ناقشهم و بين لهم ما اطلع عليه من المظالم المنتشرة في تنظيم الدولة وفند جميع الشبهات وكان ذلك قبل أن يقدم عمر الشيشاني بجيشه من المنطقة الشرقية ويسيطر على مدينة الباب ويقوم بتحرير المحرر فلما حصل ذلك أعلن الشيخ المعتصم خارجية تنظيم الدولة وأفتى بوجوب قتالهم وقاتلهم بنفسه.

تعيينه أميرا عاما لجيش المهاجرين و الأنصار: عين الشيخ المعتصم أميرا لجيش المهاجرين و الأنصار و بعد تعيينه بخمسة أيام فقط جمع أعضاء شورى جيش المهاجرين و الأنصار و قال لهم كيف سنلقى الله بقوله (واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا) يجب أن ننضم إلى جبهة النصرة فقالوا له: و لكن الجبهة فقيرة وعندها مشاكل و فيها و فيها فقال لهم : أنا معكم فيما ذكرتم ولكن أين سنذهب بالآية لا بد أن ننضم إليها و بالفعل اندمج جيش المهاجرين و الأنصار مع جبهة النصرة فكان

إخوانـه بعـد ذلـك يمازحونـه قائليـن : فتـرة إمارتـك هـي أقصـر فتـرة لأميـر تولـى إمـرة فصيـل في سـوريا

كان الشـيخ المعتصـم رحمـه الله زاهـدا في الدنيـا و في الإمـارة جـدا وكان كثيـرا مـا يقـول (هـذه الدنيـا ليسـت دنيتنا)يـردد هـذه الجملـة عنـد كل مشـكلة وكل ضائقـة

كان الشـيخ المعتصـم محبـا جـدا لمدينـة رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم و كان ممـا يسـليه و يهـون عليـه ذلـك حـلاوة الجهـاد فقـد قـال مـرة لبعـض إخوانـه إن للجهـاد حـلاوة مـن ذاقهـا لـم يـرض أن يعيـش مـن غيرهـا أبـدا و مـن ذاقهـا ظـل مستمسـكا بالجهـاد حتـى يلقـى الله وإنـي أعجـب ممـن تـرك الجهـاد و ذهـب إلـى تركيـا أو غيرهـا و أكاد أجـزم أن هـؤلاء لـم يذوقـوا حـلاوة الجهـاد و لـم ينـدم مـرة على نفيـره في سـبيل الله و تركـه أسـرته و ديـاره مـن أجـل الجهـاد و لكـن كان يحـز في قلبـه أنـه لـم يعـد قـادرا على تقبيـل قدمـي أمـه كمـا كان يفعـل عندمـا كان في المدينـة فقـد كان شـديد الحـب لهـا شـديد البـر بهـا و قـد أخبـر و هـو في الشـام مـرة أن أمـه مريضـة فبكـى حتـى تسـاقطت دموعـه و عـلا صوتـه

عبادتـه: و للشـيخ المعتصـم شـغف بكتـاب الله فقـد كان يتلـوه كثيـرا و خاصـة في أسـفاره فقـد كان يمضـي سـاعات طويلـة في سـيارته و هـو ينتقـل بهـا مـن مـكان لآخـر يقضـي حوائـج المجاهديـن و يرتب أمورهـم وقـد ختـم القـرآن في رمضـان الـذي استشـهد فيـه سـت مـرات مـع عظـم انشـغاله بالمعـارك و كان كثيـرا مـا يوصـي زوجتـه بإيقاظـه لصلاة قيـام اليـل و لا يتـرك ذلـك إلا إذا عـاد إلـى بيتـه متعبـا مجهـدا في وقـت متأخـر مـن الليـل فبصلـي القيـام ثـم ينـام و مـن حبـه للقـرآن أنـه قـال لزوجتـه في رمضـان الـذي استشـهد فيـه لـك بـكل ختمـة تقرئينهـا في رمضـان خمسـة عشـر ألـف ليـرة سـورية فقالـت لـه :أنـا أقـرأ رغبـة في الأجـر و الثـواب وليـس للمـال فقـال أعلـم و لكـن هـذا تشـجيع لـك وكان محبـا للكتـب جـدا و لديـه مكتبـة عامـرة ولكنـه قـل أن يقـرأ فيهـا لكثـرة أشـغاله كمـا كان كثيـر الدعـاء و التضـرع و التذلـل بيـن يـدي الله تعالـى و خاصـة في رمضـان فقـد كان يجلـس قبـل المغـرب بسـاعة ثـم يقبـل على ربـه يدعـوه ويسـأله و يرغـب إليـه و مـرة مـن المـرات كانـت زوجتـه في المطبـخ و أخـذت تناديـه مـرارا و هـو لا يجيبهـا حتـى ظنـت أن مكروهـا أصابـه فأتـت إلـى غرفتـه فوجدتـه رافعـا يديـه يسـأل ربـه فلمـا أرادت أن تكلمـه أشـار إليهـا أن لا تقطعـي علـي دعائـي و في مـرة ثانيـة مكـث الشـيخ يدعـو طويـلا فلمـا انتهـى قالـت لـه زوجتـه مـاذا كنـت تطلـب مـن الله ؟ فقـال كنـت أدعـو الله أن ينصـر المجاهديـن و أن يرزقنـي الشـهادة فقالـت لـه: ادع أن نستشـهد جميعـا سـوية فقـال: لا أريـدك أن تهتمي بتربيـة الأولاد و تنشـئي محمـدا ليكـون مجاهـدا مـن بعـدي فقالـت لـه: و إذا استشـهدت فمـن يهتـم بنـا فقـال : إن الله لـن ينسـاكم وقـال لهـا مـرة: إنـه لـن يصيـب الإنسـان إلا مـا كتبـه الله عليـه إنـي حضـرت معركـة شـديدة القصـف و الأهـوال و الأخطـار ولـم أصـب بحمـد الله بمكـروه ثـم أردت بعـد ذلـك أن أحضـر قبضـة مـن سـيارتي فنزلـت مـن المقـر بـدون سـلاح و هـذا ليـس مـن عادتـي فلمـا وصلـت السـيارة هجـم علـي كلبـان كبيـران و أخـذا يقفـزان بقربـي قرابـة متـر في الهـواء فضربـت أحدهمـا على ظهـره وبيـدي القبضـة ضربـة شـديدة سـمعت فيهـا كسـر عظـم ظهـره فسـقط على الأرض ثـم قـام يمشـي بعـرج شـديد و فـر الثانـي هاربـا فكمـا تريـن بعـد أن نجـوت مـن القذائـف و الصواريـخ و القنابـل كـدت أهلـك بسـبب كلبيـن لـولا لطـف الله و كرمـه و فضلـه و كان يطلـب مـن زوجتـه أن تدلـه على العائـلات الفقيـرة

ليتصدق عليها و ربما أعطاها مالا فتصدقت هي.

و كان من خلقه أنه لا يرد سائلا مقتديا بذلك بالنبي عليه الصلاة و السلام و لم يكن يحفل بالدنيا فعندما نقل سكنه قام بنقل قسم من أثاث بيته و لما عاد لينقل القسم الآخر وجده قد سرق و قد قبض على السارقين و أعادوا الأغراض و عفا الشيخ عنهم كما كان يحسن التصرف في الشدائد و المصاعب فذات مرة قصف الطيران منزله فلم يرتبك بل أخرج أطفاله بسرعة و دفعهم للدفاع المدني ثم انشغل بجمع مستلزمات عمله من السلاح و الأوراق المهمة.

سعيه في خدمة الناس: كان رحمه الله شديد الخدمة لإخوانه ساعيا في رد المظالم متفاعلا مع قاصديه لأمر؛ مغيثا للملهوف لا يرد طالب حاجة. وكان ربما سار في بعض القرى والتقى ببعض الناس وقال لهم إذا رأيتم مظلمة فأخبروني وسأسعى في ردها إن شاء الله قدر استطاعتي وكان يقول الظلم إذا لم يُزل ويغير فسيعمنا الله بعذاب ويذهب بنا ويأتي بقوم آخرين.

وقد رد الله على يديه كثيرا من المظالم، في إحدى المرات أخبره أحد الإخوة أن سيارة فيها نصيب لأرملة شهيد قد أخذها بعض الأمنيين وأنكروا ذلك وكان مشغولا جدا حينئذ فترك أشغاله وبقي ثلاثة أيام يتابع القضية حتى رد السيارة إلى أهلها وألزم آخذي السيارة بالاعتذار وبدعوة المظلومين على الغداء ثم حكم بسجنهم وسعى في عزل المسؤول عنهم عن منصبه حتى تم له ذلك.

تواضعه: وكان بالإضافة إلى ذلك كله شديد التواضع ،يقول بعض إخوانه لقد مكثت مع الشيخ المعتصم سنة كاملة في المقر نفسه أنام وإياه في غرفة واحدة وكان مما يلفت نظري في المقر أن بيوت الخلاء نظيفة جدا ولا أعلم من يقوم بتنظيفها واستمر الحال هكذا سنة كاملة حتى كانت ليلة من الليالي واستيقظت في الساعة الثانية بعد منتصف الليل وتوجهت لبيت الخلاء فوجدت الشيخ المعتصم في ذلك الوقت وهو ينظف الخلاء بهدوء دون أن يشعر به أحد والإخوة جميعهم نائمون.

إلى جانب ذلك كان دائم الابتسامة في وجوه إخوانه طيب المعشر لين العريكة حسن الخلق لم تغيره المناصب التي تولاها فقد تولى منصب الشرعي العام لجيش المهاجرين والأنصار والأمير العام لهم كما تولى منصب شرعي إدلب ثم شرعي حلب وأضيف إليه نائب أمير حلب حتى استشهاده رحمه الله.

وكان تقبله الله شديد التعفف لا يطلب لنفسه شيئا ولا يطلب حتى للعمل ذات يوم طلب منه أحد الإخوة أن يطلب شيئا للعمل فرفض وقال اطلب أنت فإن قصروا معك فسأضغط عليهم كان يفعل ذلك لأنه يخشى أن يشعر بالحرج ممن يطلب منه بعد ذلك ويمنعه ذلك من الصدع بالحق أو يؤدي به الأمر إلى المداهنة و المجاملة حتى سلاحه الذي يدخل به المعارك كان من ماله الخاص و السيارة التي كان يركبها كانت ملكا له حتى تعرض مرة لمحاولة اغتيال فباعها

عندئذ واستلم سيارة من الجماعة ومن تعففه أن المفصل الشرعي في الهيئة كان يقوم بدفع أقساط الجامعة لأعضائه الذين يدرسون فيها و كان الشيخ المعتصم رحمه الله قد قرر أن يتابع دراسته في جامعة ادلب و قام بالتسجيل على الماجستير و قسط الجامعة أربعمائة دولار فعرض عليه الأخ الإداري أن يدفعها له كما يدفع لبقية الإخوة فرفض ذلك و قال أنا سأتدبر أمري كما كان صاحب بذل و إنفاق في سبيل الله و من ذلك أنه ذخر عددا من الشباب في إحدى المعارك .

و كان للشيخ المعتصم رحمه الله اهتمام شديد بتربية المجاهدين و لذلك الأولوية عنده و جميع الدروس التي كان يلقيها عليهم كانت تشتمل على لمسات تربوية حانية فقد كان يخشى أن يغتر المجاهد بقوته و سلاحه فيتكبر على المسلمين أو يظلمهم أو يتعلق قلبه بغير الله أو ما شابه ذلك من أمراض القلوب و كان شديد التحذير للمجاهدين أن يتكلموا في أحكام التكفير بغير علم أو يخبطوا فيها خبط عشواء وإذا رأى من أحدهم تساهلا في ذلك سارع في تنبيهه و وعظه و إرشاده و بين له شدة خطورة الأمر وأمره بالتوبة و الاستغفار و الانتفاع بطلبة العلم الذين بقربه.

و إذا ذكر الورع فللشيخ منه نصيب وافر و يتجلى ذلك بشدة حرصه على أموال الجهاد أن تنفق في غير محلها أو يسرف في إنفاقها.

وللشيخ منزلة رفيعة في التواضع فمع كونه من كبار طلبة العلم في الساحة و مع كونه يحفظ الكتب الستة فقد كان يقول لا تخوضوا في النوازل دعوا الكلام فيها لأهل العلم فهم أدرى بها و إليهم نرجع في الفتوى في هذه الأمور كما كان الشيخ يكره الجدل و الخوض في الخلافيات و من تواضعه أنه احتاج مرة سيارة بعد أن تعطلت سيارته ليخرج إلى الجبهة في حماة فأقبل و هو الأمير على أحد الإداريين و بحياء شديد طلب منه سيارته و أخذ يعتذر بشدة حتى قال الإداري فظننت أي الأمير و هو المأمور و من تواضعه أن الإداري الذي أعاره السيارة قال طوال عملي معه لم أشعر أنه أمير علي فقد كان خطابه دائما خطابا رفيقا رقيقا مفعما بالحب و الحنان و اللين.

كان رحمه الله يتحرى أن يضع الشخص المناسب في المكان المناسب ويعطيه كامل الصلاحيات و لا يفتأ يذكره بالله و يأمره بتقواه و يحذره من التهاون في حفظ الثغر الموكل إليه و يقول له إذا رأيت خطأ فأخبرني و إياك أن تظن أن هذا من النميمة فتكتم عني فنحن في جهاد و لابد من إصلاح الأخطاء و متابعتها و لا يجوز لنا أن نتهاون في ذلك أبدا .

غلب حب الدين و البذل له و التضحية في سبيله على قلب الشيخ المعتصم فكان لا يكاد يجد وقتا لسواه و لشدة انشغاله بأمور المسلمين و جهاد عدوهم اتخذ مرافقا له ابن أخت زوجته حتى يقضي لها حاجاتها و يحضر لها مستلزماتها و يدخل بيتها متى شاءت فلم يكن عند الشيخ المعتصم وقت لتدبير أمور منزله .

ذات مرة احتاجت زوجته لمراجعة طبيب لمرض ألم بها فاتصل الشيخ بأحد الإخوة الإداريين و طلب منه أن يبحث عن طبيب و يرتب معه موعدا بحيث يأتي الشيخ على الموعد مع زوجته فيراجعا الطبيب ثم يعودان و قد رتب الأخ الإداري ذلك و حدد موعدا مع الطبيب يوم السبت قال الأخ الإداري فجاء الشيخ يوم الجمعة فأعطى درسا في أحد معسكراتنا ثم خطب الجمعة في أحد

المدن ثم حضر اجتماعا أو اجتماعين ثم في صباح السبت أعطى درسا آخر في المعسكر ثم أخذ زوجته إلى الطبيب ثم عاد مباشرة إلى أرض المعركة في حماة.

الشيخ المعتصم قاضيا: عندما تولى الشيخ المعتصم القضاء لهجت الألسن بالثناء عليه و شكره لتحريه العدل وإنصافه المظلومين و سعيه في رد حقوقهم و بعده عن المحاباة و المداهنة و كان للقرآن في مجلس القضاء عنده سطوة و حضور فكان يذكر الخصوم بالله و يتلو عليهم آيات من كتاب الله و يحذرهم من مغبة الظلم وسوء عاقبته و يبين لهم أن القاضي يقضي بحسب الأدلة الظاهرة لديه وأن قضاء القاضي لا يحل حراما و لا يحرم حلالا بل يقضي بنحو ما يسمع .

و قد شهد عدد من أهل العلم في الساحة بأنه من أفضل من تولى القضاء في المحاكم في بلاد الشام في الثورة الشامية المباركة و قد أخبرني الشيخ أحمد سالم البدراوي و الشيخ عبد الله المحيسني و كلاهما كان من أعضاء اللجنة التي شكلت من أجل امتحان الإخوة المتقدمين للعمل في القضاء فقالا امتحنا أكثر من سبعين أخا متقدما و كان الشيخ المعتصم من أفضلهم إن لم يكن أفضلهم على الإطلاق بل كنا نقدم الشيخ على أنفسنا و نراه أفضل منا.

و من علو همة الشيخ أنه أجرى عملية الزائدة وكان ذلك في يوم شديد الحر و في اليوم التالي مباشرة أخبر أن هناك اجتماعا مهما فأصر على حضوره مع نهي الطبيب له عن الحركة وكان يتحمل الألم و يقول في سبيل الله و يحض أهله و معارفه و عامة المجاهدين بالصبر.

شجاعته: و من أكثر الصفات التي تميز بها الشيخ و فاق بها الكثيرين صفة الشجاعة و حسن البلاء في سبيل الله و اقتحامه الأهوال و خوضه الغمرات و عدم مبالاته بالمصاعب و ملاقاة الأبطال في ساحات النزال فقد شارك الشيخ في معارك كثيرة جدا حتى أن بعض إخوانه قال له لقد حضت معارك أكثر من جيش النصرة فتبسم و قال له : أستغفر الله ليس العبرة بكثرة الدخول إلى المعارك إنما العبرة بالقبول ثم يقول هذا الأخ ما رأيت مجاهدا ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم (من خير الناس معاشا مؤمن آخذ بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار على متنه يبتغي الموت القتل مظانه) مثلما ينطبق على الشيخ المعتصم كلما سمع بمعركة سارع إلى خوض غمارها و ملاقاة أعداء الله فيها دون تلكؤ أو تباطؤ ثم أردف قائلا إن داري مقابلة لدار الشيخ و منذ أن ابتدأت معارك شرق السكة و التي استمرت أكثر من ستة أشهر لم يمر عليه أسبوع نام فيه في بيته أكثر من يوم واحد فقد قاتل في شرق السكة النصيريين و الخوارج وأثخن فيهم إثخانا شديدا ولم يكن هذا ليحدث لولا فضل الله أولا ثم شدة بأس الشيخ المعتصم و قوة شكيمته و تقدمه الصفوف الأولى فما كان أن يرضى إلا أن يدخل ساحة المعركة مع الاقتحاميين و ربما قال له القائد العسكري الأخ أبو قتيبة الشامي _عبر القبضة بعد علمه أن الشيخ سيدخل المعركة_: أنا أمير المعركة وأمنعك من الدخول فيقول: أنت لست أميري المباشر ثم يغلق القبضة و يركب سيارته و ينطلق ليدخل مع إخوانه المجاهدين إلى ساحات البطولة و الشرف وكان رحمه الله يدخل المعركة بصفته شرعيا فلا يلبث إلا قليلا حتى

يصبـح القائـد الميدانـي في المعركـة.

وكان أميـره المباشـر الشـيخ عبـد الرحيـم عطـون يمنعـه مـن الدخـول في المعركـة فيدخـل معـه في نقـاش طويـل و يقـول لـه: يـا شـيخ نحـن في جهـاد دفـع ومعـي سـلاح نوعـي _فقـد كان رحمـه الله قـد اشـترى مـن مالـه قناصـة و ركـب لهـا منظـارا حراريـا و خافيـا للهـب وكان يدخـل بهـا في المعـارك_ والإخـوة بحاجـة السـلاح النوعـي الـذي معـي و يجـب أن أدخـل معهـم (سـأذكر في آخـر الترجمـة محادثـة بينـه وبيـن الشـيخ عبـد الرحيـم عطـون بهـذا الشـأن).

و كان كثيـر مـن الشـباب المقتحميـن يقولـون : إذا سـمعنا صـوت الشـيخ المعتصـم في المعركـة على القبضـة شـعرنا بالأمـان و علمنـا أن الشـيخ معنـا في أرض المعركـة فـازدادت بذلـك حماسـتنا و قـوي عزمنـا وعلـت همتنـا و ارتفعـت معنوياتنـا .

يقـول أحـد إخوانـه : حضرنـا يومـا معركـة و حـان موعـد الصـلاة فصليـت خلـف الشـيخ المعتصـم مباشـرة فلمـا انتهـت الصلاة قـام ينظـر إلـى جهـة العـدو فأصيـب بطلقـة في يـده فـوالله مـا صـرخ و لا تـأوه و لا علمـت أنـه أصيـب إلا عندمـا أخبرنـي إنـه لمـا أصيـب قبـض على يـده المصابـة بيـده الأخـرى ثـم جلـس قليـلا ثـم نهـض و قـال لـي : لقـد أصبـت فتـول أنـت قيـادة الشـباب و أنـا سـأذهب إلـى النقطـة الطبيـة ثـم مشـى ولـم يشـعر أحـد مـن الشـباب أنـه أصيـب إلا شـاب واحـد شـك في ذلـك فسـألني مـا بـال الشـيخ؟ فأخبـرت الشـباب أن الشـيخ قـد أصيـب بجـرح في يـده .

وفي معركـة فـك الحصـار عـن حلـب كان الشـيخ مـع الشـباب المقتحميـن في قريـة منيـان و قـد تعبـوا تعبـا شـديدا بسـبب تأخـر التبديـل عليهـم لظـروف المعركـة فصـار المقتحمـون هـم المرابطيـن و مـع شـدة تعـب الشـيخ المعتصـم إلا أنـه كان يحـرض الشـباب و يحثهـم على متابعـة العمـل لدرجـة أنـه كان مـن المقـرر أن ينغمـس خمسـة مـن المجاهديـن في منطقـة حلـب الجديـدة ليحدثـوا خلـلا في صفـوف العـدو و ينشـروا الاضطـراب و الفـزع بيـن عناصـره فقـال الشـيخ المعتصـم أنـا سـأنغمس معكـم إن شـاء الله و كان لـه في أرض المعركـة مـا يزيـد على اثنتـي عشـرة سـاعة .

و في معـارك شـرق السـكة وفي قريـة أبـي عجـوة في قتـال الخـوارج دخل الشـيخ أرض المعركة و انسـحب الخـوارج مـن أوائـل القريـة و اسـتعصى منهـم شـخصان في أحـد البيـوت و توقـف تقـدم المجاهديـن حتى يتـم تحريـر البيـت الـذي اسـتعصى فيـه الخارجيـان فقـال الشـيخ المعتصـم: بهـذه الطريقـة سـيطلع علينـا الفجـر و لـن نتمكـن مـن تحريـر القريـة لذلـك علينـا أن نحاصـر هـذه البيـت ببعـض الإخـوة بحيـث نؤمـن ظهـر باقـي الإخـوة الذيـن سـيتابعون التقـدم و يحـررون باقـي القريـة مـن رجـس الخـوارج يقـول الأخ العسـكري في تلـك المعركـة : و كان اقتـراح الشـيخ صائبـا جـدا و تـم تحريـر القريـة ثـم يتابـع الأخ العسـكري قائـلا : كان الشـيخ المعتصـم يتـذرع دائمـا بالقناصـة الحراريـة للضغـط على العسـكريين مـن أجـل الدخـول إلـى أرض المعركـة في أي وقـت شـاء و القناصـة الحراريـة سـلاح فعـال جـدا في المعركـة و هـو غيـر متوفـر بكثـرة لـذا يمكننـي القـول أن الشـيخ المعتصـم كان يمسـكنا مـن اليـد التـي تؤلمنـا كمـا يقـال و بدخـول الشـيخ إلـى المعركـة ينسـى الشـباب آلامهـم وتعبهـم و تمتـلأ قلوبهـم بالفـرح و النشـاط و بعـد تحريـر القريـة التـي تلـي قريـة أبـي عجـوة بقـي بعـض البيـوت في آخـر القريـة لـم تحـرر و فيهـا ثلاثـة مـن الخـوارج فدخـل الشـيخ المعتصـم بقناصتـه مـع أحـد الإخـوة العسـكريين وقتـل أحـد الخـوارج وفـر الاثنـان .

بعد ذلك قام بعض الخوارج بالتسلل إلى تلك القرية المحررة حديثا فتكلم مع الأخ العسكري الذي معه و قال هذا أوان عملي ثم دخل مع شخص آخر إلى داخل القرية و مع كل واحد منهما قناصة حرارية و بقي الأخ العسكري في الخلف يقوم بالتغطية النارية عليهما برشاش الدوشكا و بعد فترة اتصل الشيخ المعتصم بالأخ العسكري و قال له بهدوء شديد و دون وجل أو اضطراب لقد أصبت بطلقة في كتفي فقال له الأخ العسكري سوف أدخل لأخرجك فقال له لا داعي لذلك سأخرج بنفسي و لكن انتظرني عند المكان الفلاني و بالفعل خرج الشيخ المعتصم و التقى بالأخ العسكري في المكان المحدد و قدر الله أن يصاب الأخ العسكري بطلقة نارية في يده أيضا.

و قد أصيب في بعض المعارك بجرح أدى إلى انقطاع العصب فكان يتألم ألما شديدا حتى يظن نفسه أنه سيموت فيردد الشهادتين و قد استمر معه الحال على ذلك قرابة عام حتى أجرى عميلة جراحية وصل فيها العصب فتحسن حاله جدا إلا أنه ظل يعاني من عجز في أصابع يده ومع ذلك لم يتخلف عن المعارك الدائرة.

وفي إحدى المعارك شرق السكة مع الخوارج دخل الشيخ المعركة في الساعة السابعة واستمر القتال إلى الثانية عشرة ليلا و كان معه مرافقه وقد نال منهما التعب كل منال وبعد انتهاء المعركة قال الشيخ لمرافقه: ما رأيك أن نرابط فقال: يا شيخ لقد تعبت جدا وأشعر بالبرد الشديد لذا لو نرتاح بقية ليلتنا فقال الشيخ: لا بأس ارتح أنت الآن أما أنا فسأرابط إلى الفجر فقال له الشباب الذين رابط معهم : يا شيخ نحن نكفيك الرباط أرح نفسك فكان يقول ليس قبل طلوع الفجر.

و من شجاعته ما ذكره لي الشيخ أبو إبراهيم سلامة أمير حلب حيث قال: للشيخ المعتصم مشاهد مشهورة في قتال الخوارج و كان صاحب همة عالية جدا و كنت أعتمد عليه عسكريا أكثر من اعتمادي عليه شرعيا وكان يوصيني أن أكون أكثر قربا من الإخوة فأقول أنا أعتمد عليك في ذلك و ذات مرة و أثناء قتال الدواعش كنا هناك و حدث خلل و اضطراب وفي أرض المعركة تلال يجب المرابطة عليها و إلا أخذها الدواعش و سيطروا على مساحات شاسعة بعدها و لم يكن هناك أحد مرابطا عليها فقمت أنا و الشيخ المعتصم و الأخ أبو ناصر بأخذ ذخائر كثيرة وقمنا بالرباط عليها حتى ترتبت الأمور و جاء الإخوة و استلموا الرباط و كان الشيخ المعتصم يقول: كل شيء يستطيع الإنسان أن يفعله في سبيل الله و لم يفعله فهو آثم و ينبه القادة على إمداد الجبهات بما يستطيعون من مجموعات مقاتلة.

وكان مرافق الشيخ يطلب منه أحيانا أن يرتاح فكان الشيخ لفرط نشاطه و علو همته و شدة بذله يقول له أرح نفسك أما أنا فهذا وقت عملي و سأتدبر أمري لا مشكلة عندي أن أخرج لوحدي فأنا معتاد على ذلك أو قد أجد أحد الإخوة أصطحبه معي.

و بعد تحرير قرية المستريحة جنوب الرهجان دخل الشيخ المعتصم مع القائد العسكري أبي قتيبة الشامي و بعض إخوانه لتفقد الوضع و بينما هم في القرية قام الخوارج بمحاولة اقتحام القرية فقال بعض الشباب لنسحب ريثما تأتي المؤازرة فقال الشيخ : لماذا ننسحب سنصدهم إن شاء الله ثم أخذ كل واحد من الإخوة زاوية وجهز سلاحه استعداد للالتحام قال الأخ العسكري أبو قتيبة و بما أني بيد واحدة فقط (قطعت يده في إحدى معارك التصدي للنصيرية) و لا أستطيع تبديل

المخازن فقد جلست خلف الشيخ المعتصم و قلت سأقاتل بالمخزن الذي معي ثم يأتي الله بعها بالفرج قال : فكان الشيخ المعتصم رحمه الله ينكل بهم بقناصته الحرارية تنكيلا شديدا و قد أسقط عددا منهم بين قتيل و جريح حتى ردهم الله خائبين لم ينالوا خيرا .

و في معركة كفرنبودة انفجر برميل قرب سيارة الشيخ وكان هو و مرافقه بداخلها و كسر زجاج السيارة أجمع و دخلت شظية من الباب الخلفي و اخترقته حتى استقرت في سقف السيارة فوق رأس الشيخ بقليل و لم يحدث للسيارة أي أضرار أخرى فاتصل الشيخ بالإداري و أعطاه السيارة و طلب منه إصلاحها ففعل ثم أحضر السيارة و سلمها للشيخ و قال له : سبحان الله يا شيخ الشظية التي دخلت من الباب الخلفي كادت أن تقتلك و لكن نحمد الله أن لطف بك و بنا فحفظك لنا فقال الشيخ: و من يدري؟ قد يكون ذلك لطف من الله و قد أكون أنا لا أستحق الشهادة و قد عقب الأخ الإداري قائلا: لقد أثرت هذه الكلمة فيَ كثيرا.

و ذات مرة كان الشيخ رحمه الله يشرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم (لا يجتمع كافر و قاتله في النار) فقال أحد الإخوة الحضور : أحمد الله لقد قتلت أسيرا كافرا فنظر إليه الشيخ باستنكار شديد و قال : أسير؟ هذه ليست شجاعة و لا رجولة الرجولة أن تقتل الكافر في أرض المعركة أن تقتله وجها لوجه أن تقتله و أنت منغمس أو مقتحم على أعداء الله فاستحيا الرجل و قال : يا شيخ أنت تقول هذا من ناحية شرعية أم أخلاقية؟ فقال الشيخ من كليهما.

و في معركة كفرنبودة التي خاضها المجاهدون في السابع عشر من رمضان و فتح الله عليهم و حررت القرية كان الشيخ المعتصم رحمه الله معهم في المعركة و كان له فيها خطب عجيب فقد حدثني الأخ أبو العبد أشداء و كان أحد المقتحمين فقال : بعد أن انطلقنا و دخلنا أوائل القرية بعربتي bmb تعطلت الأولى و ضربت الثانية بعدها بقليل بصاروخ حراري فتعطلت أيضا و انتشرنا بين البيوت و قررنا الانسحاب فقد أخفق العمل و أخذنا نرتب لذلك و بينما نحن على ذلك إذ بالشيخ المعتصم رحمه الله قد جاء و هو يقول : سنكمل العمل إن شاء الله و أخذ يحرض الإخوة على الثبات حتى دبت الحماسة في قلوبهم من جديد و قرر الإخوة إتمام العمل و كان مع الشيخ رحمه الله قناصته بنظارها الحراري و خافي لهبها و لما أرخى الليل سدوله و حل الظلام قمنا بتقسيم أنفسنا مجموعات و بدأنا بتمشيط القرية و الاشتباك مع العدو وكان الشيخ في المجموعة التي أنا فيها و قد أثخن في العدو إثخانا عظيما فقد كان يراهم بمنظاره من حيث لا يرونه و يتصيدهم كالعصافير و هم لا يدرون من أي يأتيهم الموت فأخذوا يطلقون النار بشكل عشوائي كثيف في اتجاه غير الاتجاه الذي يطلق الشيخ النار عليهم منه فساد الذعر وعم الاضطراب في صفوف الجيش النصيري و كان الفتح بفضل الله أولا ثم بتثبيت الشيخ المعتصم للشباب و إقناعهم بإكمال المعركة.

و لما رجع الشيخ من المعركة تعطلت سيارته في منطقة قرب سراقب فاتصل بالأخ الإداري و طلب منه أن يأتيه بسيارة أخرى و يبلغ الإخوة في ورشة الإصلاح ليسحبوا السيارة و قد وصل الأخ الإداري قبل الإخوة في ورشة الإصلاح و أعطى السيارة للشيخ و قال : امض الآن يا شيخنا و عندما يصل الإخوة في الورشة سأذهب معهم فقال الشيخ: ما كنت لأتركك هنا وحدك في هذه المنطقة و لكن ننتظر حتى إذا وصل شباب الورشة تابعت أنا طريقي و ذهبت أنت معهم يقول الأخ الإداري

و أثنـاء انتظارنـا أخـذت أسـأله عـن المعركـة و كيـف فتـح الله على المجاهديـن فقـال لـي : الفتـح كان بمحـض فضـل الله علينـا ثـم أخبرنـي كيـف تعطلـت عربتـي bmb قبـل وصولهمـا لأهدافهمـا ثـم أردف قائـلا : إن أحـد الإخـوة رأى في منامـه أن العـدو ينسـحب سـيفر مـن إحـدى الجهـات و عنـد المعركـة ذهـب هـذا الأخ إلـى تلـك الجهـة و أخـذ معـه رشـاش bkc و بالفعـل أخـذ العـدو بالانسـحاب مـن تلـك الجهـة فقـام بفتـح النـار عليهـم و قتـل منهـم مـا بيـن العشـرين إلـى الثلاثيـن جنديـا فقـال الأخ الإداري فحمدت الله على فضلـه و إنعامـه ثـم وصـل شـباب الورشـة فركـب الشـيخ السـيارة و تابـع طريقـه و ركبـت أنـا مـع شـباب الورشـة ومضينـا في طريقنـا وبعـد استشـهاد الشـيخ علمـت أن الشـيخ هـو صاحـب الرؤيـا فقـد ذكـرت لبعـض الإخـوة مـا أخبرنـي بـه الشـيخ فقـال هـل تعلـم مـن هـو صاحـب الرؤيـا؟ فقلـت :لا فقـال : هـو الشـيخ المعتصـم و قـد أخبرنـي برؤيـاه وقـد رآه بعـض الإخـوة وهـو يرمـي على العـدو برشـاش bkc ثـم نـدم الأخ ندمـا شـديدا لأنـه حـدث بهـا فقـد كان الشـيخ أمـره أن يكتمهـا و لا يخبـر بهـا أحـدا.

كان الشـيخ المعتصـم رحمـه الله رحيمـا رفيقـا بالمسـلمين فقـد كان يأخـذ نفسـه بالعزيمـة و لا ينكـر على النـاس بالأخـذ بالرخصـة كمـا كان لا ينافـس أحـدا في أمـور الدنيـا ولا يؤثـر على نفسـه أحـدا بأمـور الآخـرة ومـن صفاتـه سـعة الصـدر جـدا فـإذا اختلـف مـع أحـد مـن طلبـة العلـم لـم يـدع الخـلاف يعكـر صفـو المـودة بينهمـا و لـم يتـرك الشـيطان ينـزغ بينهمـا أخبرنـي الشـيخ المحيسـني قـال : اختلفـت مـع الشـيخ المعتصـم في مسـألة علميـة مـن المسـائل التـي صنعـت هـوة بيـن النـاس وفرقـت بينهـم وجـرى نقـاش طويـل بيننـا على الهاتـف و قـد قسـوت على الشـيخ في النقـاش فقـال لـي: أسـألك بـالله أن تخبرنـي أيـن أنـت وسـآتي إليـك الآن فأخبرتـه فجاءنـي و جلسـنا جلسـة طويلـة و نحـن نتناقـش في المسـألة بالأدلـة الشـرعية و قبـل البـدء في النقـاش قـال لـي أوصيـك و نفسـي أن نتجـرد تمامـا مـن حظـوظ النفـس لأن القضيـة شـديدة الخطـورة و ينبنـي عليهـا أمـور كثيـرة في سـاحة الجهـاد قال الشـيخ المحيسـني و اشـتد النقـاش بيننـا و اسـتمر لمـدة ثلاثـة سـاعات و لـم نصـل لنقطـة التقـاء و لا حتـى تقـارب فمـا يـراه حـلالا و فيـه أعظـم الأجـر أراه حرامـا و فيـه إثـم عظيـم ثـم قـال لـي الشـيخ المعتصـم : هـل الخـلاف بيننـا مـن الخـلاف السـائغ الـذي يـدور بيـن الأجـر و الأجريـن أم لا أن الخـلاف لا يسـوغ فيـه؟ فقلـت: أرى أنـك آثـم فيمـا أنـت فيـه وهـذا الخـلاف ليـس سـائغا فاغتـم لذلـك غمـا شـديدا ثـم قـال: هـل تـرى أنـي مجتهـد في تحـري الحـق حريـص على إصابتـه ؟ فقلـت: طبعـا لا أشـك في ذلـك و لا أدري لعلـك المصيـب و أنـا المخطـئ ولكـن هـذا مـا أراه دينـا فقـال : الحمـد لله ثـم أخـذ يدعـو الله ثـم قـام فقبـل رأسـي قبـل أن ينصـرف و فعلـت مثـل ذلـك و عجبـت مـن حسـن خلقـه و رحابـة صـدره و مـع شـدة الخـلاف العلمـي الـذي جـرى بيننـا فقـد كان يبلغنـي أنـه يـذب عـن عرضـي في غيبتـي و أنـا أبادلـه ذلـك كمـا كان الشـيخ المعتصـم شـديد التثبـت عظيـم التحـري فيمـا ينقـل إليـه مـن أخبـار فـذات مـرة تواصـل مـع الشـيخ المحيسـني و قـال أيـن أنـت؟ فقـال لـه في المـكان الفلانـي فقـال أنـا قـادم إليـك و لمـا وصـل و بعـد السـلام و الترحيـب قـال لـه : أنـا قـادم مـن مـكان بعيـد جـدا و قدومـي مـن أجـل أن أسـألك سـؤالا واحـدا ثـم أرجـع فقـال لـه الشـيخ المحيسـني : تفضـل فقـال بلغنـي عنـك كـذا و كـذا فهـل هـذا صحيـح أم لا؟ فقـال الشـيخ المحيسـني : لا ليـس صحيحـا ثـم و ضـح لـه حقيقـة الأمـر فقـال : الحمـد لله الآن سـأعود مطمئـن القلـب ولـم أرد أن أسـألك على الهاتـف فالسـؤال مباشـرة أفضـل و أجـود.

و مـن تحريـه للحـق سـواء أكان لـه أو عليـه أنـه اختلـف مـرة مـع صـلاح الشيشـاني في مسـألة و اتفقـا على التحاكـم إلـى الشـيخ المحيسـني و كان حينهـا مصابـا في بطنـه فذهبـا إليـه إلـى المستشـفى و

قبل البدء بجلسة المحاكمة قال له الشيخ المعتصم: إنني و الأخ صلاح قد ارتضيناك حكما بيننا و إن كنت ستحرج لأنك من بلدي فأنت في حل من ذلك فقال الشيخ المحيسني: جزاك الله خيرا أنتما في القدر و المحبة عندي سواء.

و قد عرف عن الشيخ المعتصم أنه إذا أفتى بشيء كان أول المبادرين لامتثاله فمن ذلك أنه لما أفتى بخارجية تنظيم الدولة و وجوب قتاله سارع لقتالهم و كان يقف على الحواجز مع إخوانه في وقت كان كثير من الناس متخوفين من قتالهم ينأون بأنفسهم عنه.

رحمته و حزمه: و قد جمع الشيخ المعتصم بين صفتين يندر أن يجتمعا في شخص كما اجتمعا في الشيخ و هما الورع و الرحمة مع الحزم و الشدة فقد كان شديد الفهم لواقع الجهاد في الشام ذو بصيرة حادة في اتخاذ القرارات و قد أثبتت الأيام صدق كثير من فراسته و دقة ملاحظاته و صواب قراراته.

كان للشيخ المعتصم رحمه الله هيبة في قلوب الناس كما كان متابعا لكل صغيرة و كبيرة من نوازل الساحة و قد يجلس مع شخص ساعات طويلة من أجل أن يزيل شبهة علقت في قلبه.

وضع الله للشيخ المعتصم المحبة في قلوب المجاهدين فكانت محبته تدخل القلوب بلا استئذان و تغمر الأفئدة ولما استشهد كانت كلمة كثير من المجاهدين(ذهب الذي كنا نشكو إليه همومنا)

التزامه بالعهود و المواثيق: و من محاسنه رحمه الله أنه كان شديد المحافظة على العهود و المواثيق لا يخل بها و لا يسمح لأحد بالالتفات عليها أو نقضها والعبث بها صادق اللهجة جدا طاهر اللسان عف الألفاظ حتى قال الأخ أبو قتيبة العسكري : لقد صحبت الشيخ المعتصم ثلاث سنين فما سمعته كذب قط لا جادا و لا مازحا إنما كان يعرض إن احتاج إلى إخفاء أمر كما ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يريد غزوة إلا ورى بغيرها وعند الاتفاق على أمر ما مع الفصائل كان الشيخ رحمه الله حريصا على تنفيذ الاتفاق كما هو بدون إخلال بأي جزئية من جزئياته و من كان يحاول الإخلال بالاتفاق تحت أي ذريعة أو تأويل كان الشيخ شديد الحزم معه يقف في وجهه كالطود الراسخ و مع ذلك كان صارما في قتال البغاة و المفسدين يتقدم الصفوف الأولى في المعارك و لذلك كان موضع ثقة من القيادة والجنود على حد سواء .

و كان إذا أمر الجنود بشيء بادر الجنود لامتثاله لأنهم يرونه قد سبقهم إليه فقد كان يقرن القول بالفعل و يطبق مقولة (إذا كنت إمامي فكن أمامي) فكان لكلامه وقع شديد في نفوس المجاهدين يكره أن يجرح أحدا بكلامه شديد الأدب صاحب حياء عظيم يزن كلامه قبل أن يقوله

كان الشيخ الجولاني يخاطب الشيخ المعتصم بإجلال و هيبة و تقدير و كان الإخوة في قاطع حلب إذا حدث بينهم نزاع رفعوه إلى الشيخ المعتصم فيقوم بحله إما صلحا و إما قضاء عند تعذر الصلح و ما دخل بقضية إلا حلت بفضل الله كان يتصدر لحل المشاكل و يكره ترحيلها بشدة و يمنع بحزم الإخوة من التكلم على بعضهم و يحضهم على العفو و الصفح و حسن الخلق .

كان التواضع من خلق الشيخ رحمه الله و من تواضعه أنه في معركة تحرير كفرنبودة في السابع عشر من رمضان قتل معظم الجنود الذين كانوا على الساتر بقناصته و مع ذلك لما خرج سأله بعض الإخوة هل قتلت أحدا؟ فقال : الله أعلم قد أكون قتلت عنصرا أو اثنين فقال أحد الإخوة العسكريين: لقد وجدنا قرابة ثلاثين عنصرا قتلى من الجيش النصيري على الساتر.

استشهاده: عندما خرج الشيخ في المرة الأخيرة إلى الجبهة كان ينوي أن يمضي العشر الأواخر هناك و لا يعود حتى يشرق فجر عيد الفطر و لذلك ودع أهله وأطفاله قبل خروجه .

كتب الأخ العسكري حماش بعد استشهاد الشيخ يذكر الساعات الأخيرة في حياته: جاءني الشيخ الحبيب أمس عصرا إلى غرفة العمليات فتكلمنا قليلا ثم جلس يتلو القرآن حتى أذن المغرب و كان يبتسم و هو يتدبر القرآن و يستمتع بتلاوته و أذكر أنه مر بآية فقال : انظروا إلى كلام الله ما أعظمه و أجمله (وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا و لئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم و بينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما) ثم أذن المغرب فأفطرنا ثم عاد إلى تلاوة القرآن و بقي على هذه الحال حتى الساعة الواحدة ليلا لم يقطع قراءته إلا لصلاة العشاء ثم أيقظ من كان نائما من الإخوة و قام يصلي بنا إماما صلاة قيام الليل بدأ فصلى أربع ركعات و قرأ فيهن شيئا من سورة النساء ثم جلس يحدثنا و كان مما قاله : نحن في نعمة كبيرة و كرم و فضل عظيم من الله سبحانه و تعالى أن نقوم الليل في العشر الأواخر من رمضان و في ليلة وترية ليلة الواحد و العشرين و في أعظم أرض أرض الشام و أعظم منطقة منطقة المعارك في ريف حماة .

ثم قام فأكملنا ثماني ركعات ثم أوتر و في الركعة الأخيرة دعا و أطال الدعاء جدا وانتهينا من الصلاة في الساعة الثالثة إلا ربع فقمنا فأعددنا السحور فتسحرنا و صلى بنا الفجر ثم نام و بعد ساعتين استيقظنا على صوت قصف عنيف و في الساعة التاسعة و النصف تقريبا تم قصف المكان الذي يوجد فيه الشيخ ليترجل الفارس الذي لم أر مثله في الأخلاق و الآداب و الرجولة و الزهد في الدنيا و ما فيها ما عرفته إلا صادحا بالحق لا يخشى في الله لومة لائم و لا يجامل أحدا في خطأ ارتكبه لطالما كنت أدخل المعارك فأجده في الصفوف الأولى يدخل دائما بصمت فلا أعرف أنه يقتحم أو يرابط في الخطوط الأولى إلا عندما أسمع صوته على القبضة و ما أحلاه من صوت كنت دائما أحاول منعه من الدخول في المعركة و أقول له : ياشيخ أنت تعلم أنه من الصعب أن تجد شرعيا فيقول: اتق الله يا حماش يعني هنا يوجد موت و في خارج المعركة لا يوجد موت؟ و يقول: ما أجملها من صحبة في الجنة فلان و فلان و يذكر بعض إخوانه الذين سبقوه في الشهادة ثم يقول لي: النقاط في الداخل تحتاج إلى منظار حراري و أنت ليس لديك منظار حراري و المنظار الذي معي خاص و لا أقبل إلا أن أدخل أنا به .

ثم يتابع حماش قائلا: أخي و حبيب قلبي و رفيق دربي بالمعارك و يامن لا أجد من الإخوة غيره لأشكي له همي عند أغلب المشاكل التي تحصل معي و الله لا تكفيني أيام لأكتب عنك و عن بطولاتك وسامحني فإني أعرف أنك لا تحب أن يكتب أحد عنك شيء وقد مدحتك على غرفة الشهباء (غرفة تليجرام تابعة لقطاع حلب في الهيئة) بأنك ميداني معركة كفر نبودة فحذفت

مـا كتبـت اللهـم فتقبلـه في الشـهداء انتهـى كلام حمـاش و قـد كان استشـهاد الشـيخ المعتصـم في الواحـد و العشـرين مـن رمضـان مـن سـنة ألـف و أربعمائـة و أربعيـن لهجـرة المصطفـى عليـه الصلاة و السـلام,

و قـد كتـب إلـي الشـيخ أبـو جعفـر السـلمي عـن الشـيخ المعتصـم قائـلا: الحمـد لله و الصلاة و السـلام على رسـول الله و بعـد: المعتصـم بـالله المدنـي رجـل قـلَ مثيلـه ممـن عرفـت .

طالـب العلـم المجاهـد الـذي لا يعـرف الملـل و اليـأس همـة تناطـح السـحاب و يقيـن بـالله لا يعكـره شـك و طمـوح نحـو مجـد الأمـة التـي ضحـى بنفسـه لأجـل عزهـا و نصرهـا.

في عـام 1434للهجـرة تعرفـت على الشـيخ المعتصـم بـالله في مقـر المكتـب الشـرعي لجيـش المهاجريـن و الأنصـار في مدينـة حريتـان حيـث كان قـد و صـل حديثـا مـن المدينـة المنـورة .

قدمـه لنـا الشـيخ البـراء خليفـة (أبـو المثنـى المدنـي) حيـث كان نفيـره بتنسـيق معـه بحكـم صحبتهـم الدراسـية في الجامعـة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة .

كانـت آثـار العلـم واضحـة على تصرفاتـه و كلامـه و مشـاركاته فمـا مـر أيـام على وصولـه إلا و كان مرجعـا لجميـع الإخـوة طلبـة العلـم في المقـر ترسـخت علاقتنـا مـع بعضنـا بحكـم كونـي شـاميا بيـن مجموعـة مـن طلبـة العلـم مـن أهـل الجزيـرة العربيـة كانـت فتنـة داعـش قـد أطلـت برأسـها و اشـتد القتـال بيـن فصائـل الثـورة و الخـوارج فـكان للشـيخ رحمـه الله يـدا بيضـاء في تمايـز جيـش المهاجريـن و الأنصـار عـن داعـش و التزامهـم الثغـور حيـن انشـغلت الفصائـل بـرد عاديـة الخـوارج كان الشـرعي و القائـد بـآن واحـد لمجموعـة مـن المجاهديـن عربـا و عجمـا و قـد نـال محبـة كل مـن عرفـه و أعجـب بحكمتـه الأصدقـاء و الخصـوم .

و في عـام 1436تأسسـت دار القضـاء في حريتـان فعملنـا معـا فتـرة مـن الزمـن تطـورت علاقتنـا خلالهـا حتـى وقـع الاختيـار عليـه أميـرا لجيـش المهاجريـن و الأنصـار و لـم يلبـث حتـى عـزم الأمـر وهيـأ الجيـش للانضمـام لجبهـة النصـرة .

مـا رأيـت مثلـه شـجاعة في الميـدان أو في اتخـاذ القـرار كان حكيمـا عاقـلا عنـد الفتـن و النـوازل لا أكاد أذكـر أنـه تخلـف عـن معركـة أو غـزوة كان دائمـا يسـتنهض الهمـم و يتقـدم الصفـوف و يوجـه الفرسـان و يرسـم الخطـط و في ميادين القتـال لا يـرى أبـو محمـد إلا متدرعـا جعبتـه لا يخلـع اللبـاس العسـكري إلا إذا هـدأت الجبهـات و خفـت أصـوات الرصـاص و في ميـدان العلـم سـمت و أدب و علـم و رويَـة وغيـرة على تحكيـم الشـريعة الغـراء و في ميـدان الأخـوة و الصحبـة كان الشـيخ لطيفـا مزوحـا يحـب إخوانـه ويأنـس بمجلـس الأصحـاب مـع القهـوة (الجزراويـة) و أحاديـث المعـارك و مغامـرات النـزال رحمـك الله يـا أبـا محمـد مـا شـكونا مـن مظلمـة إلا سـارع لردهـا و لا طلبنـاه بفزعـة إلا شـمر لهـا و مـا تأخـر عـن واجـب و لا خـاف مـن عاقبـة في الجهـاد بـاع نفسـه لله و لـم يداهـن أميـرا أو قائـدا و لـم يسـع لمنصـب أو جـاه .

اقتحـم الجيـش المـلاح فـكان لا يهـدأ يحشـد الفصائـل و ينسـق معهـا و يسـعى بالمـؤزرات و يقـود الاقتحامييـن و يشـد مـن أزر القـادة في غرفـة العمليـات و لمـا حوصـرت حلـب كان في أول مجموعـة انغماسـية في كليـة المدفعيـة في الراموسـة في معركـة فـك الحصار عـن حلـب و عندمـا تقـدم الروافض

في ريـف حلـب الجنوبـي لـم أكـد أراه شـهورا إلا بلبـاس الحـرب مسـتعدا لا يتخلـف عـن معركـة و قـد دخلـت معـه عـدة معـارك فمـا كان يرضـى أن يتأخـر عـن الصـف و لا أن يجلـس في غرفـة العمليـات بـل صانـع للحـدث مؤثـر بـكل مـن حولـه.

لـن أسـتطيع وصـف الشـيخ بكلماتـي و لـو عكفـت شـهورا إي والله لسـت مبالغـا كان رحيلـه جرحـا في قلـب كل مـن عرفـه و خاصـة مـن عرفـه و عـاش معـه عـن قـرب بكـى عليـه الصغـار و الكبـار في المدينـة التـي عـاش فيهـا سـنين الجهـاد (حريتـان) و لا زال المصلـون في المسـجد و المرابطـون في الخنـادق و المتعلمـون في المعاهـد يذكرونـه بخيـر و لا زالـت الوجـوه كئيبـة مـن الحـزن على فقـده اللهـم تقبـل عبـدك الشـيخ المعتصـم بـالله المدنـي في عليـين انتهـت رسـالة الشـيخ أبـي جعفـر جـزاه الله خيـرا .

بعـض مـا قيـل في رثـاء الشـيخ المعتصـم رحمـه الله: أصـدرت هيئـة تحريـر الشـام بيانـا رثـت فيـه الشـيخ المعتصـم بعنـوان و ترجـل فـارس العلـم و الميـدان و ممـا جـاء فيـه: ففـي صبـاح اليـوم الأحـد أول أيـام العشـر الأواخـر المباركـة مـن ومضـان 1440للهجـرة الموافـق 26_2_2019 و بعـد رحلـة جهاديـة عطـرة خطهـا بالعلـم و التعليـم و الدعـوة و الجهـاد و الإقـدام و النـزال في سـاحات الأبطـال ترجـل البطـل الهمـام عضـو المجلـس الشـرعي العـام في هيئـة تحريـر الشـام الشـيخ أبـو محمـد المعتصـم بـالله المدنـي ابـن مدينـة رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم وعـاء مـن أوعيـة العلـم في الشـام و بيـت مـن بيـوت الحكمـة طيـب المعشـر كريـم النفـس دمـث الأخـلاق أديـب أريـب حبيـب كان الشـيخ تقبلـه الله أحـد أعضـاء المجلـس الشـرعي العـام في هيئـة تحريـر الشـام و عضـو مجلـس الفتـوى و عضـو المجلـس القضائـي و المسـؤول الشـرعي العـام لقطـاع حلـب و كان رحمـه الله على مهامـه و مسـؤولياته لا يـكاد يتخلـف عـن معركـة يجاهـد بنفسـه و يوجـه بعلمـه يشـاورك الانغماسـيين و يصحـب الاقتحاميـين عرفتـه معـارك المـلاح و الكاسـتلو و فـك الحصـار عـن حلـب أصيـب في معـارك شـرق السـكة و مـا إن بـدأت ملاحـم رمضـان حتـى كان مـن أوائـل مـن نهـد للقـاء العـدو تقـدم الصفـوف يـوم فتـح كفرنبـودة ليلـة 17رمضـان و اليـوم يصطفيـه الله شـهيدا في ثغـور ريـف حمـاة الشـمالي و هـو صائـم قائـم مجاهـد مرابـط نحسـبه و الله حسـيبه ألا في ذلـك فليتنافـس المتنافسـون و لمثـل هـذا المصيـر فليعمـل العاملـون إن سـيرة الشـيخ مثـال يحتـذى في العلـم و العمـل و الأدب و الأخـلاق و الجمـع بيـن الجهـاد و العلـم و الدعـوة و الحكمـة و العسـكرة.

اللهـم تقبـل عبـدك أبـا محمـد المعتصـم بـالله في عليـين و ارفـع درجتـه في المهدييـن و اخلفـه في عقبـه في الغابريـن واغفـر لنـا ولـه يـا رب العالميـن .

وعزاؤنـا لأمتنـا أنهـا أمـة ولـود لـم تنقطـع مـن العلمـاء العامليـن و الأبطـال المجاهديـن فكـم أحيـت دمـاء الشـهداء مـن قلـوب فمـا المـوت بغريـب و مـا الفـراق بجديـد و قـد تعاهدنـا أن الآخـرة هـي دار اللقـاء و موطـن الأحبـاب و رحبـة الأصحـاب و مسـتقر النـوى و مربـط الرواحـل ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظيـم و إنـا لله و إنـا إليـه راجعـون.

كمـا أصـدر الحـزب الإسـلامي التركسـتاني لنصـرة أهـل الشـام بيان تعزيـة في استشـهاد الشـيخ المعتصـم بـالله المدنـي و ممـا جـاء فيـه: كان الشـيخ المعتصـم مـن طلبـة العلـم القلائـل الذيـن زكـوا علمهـم

بالعمل فباعوا أنفسهم لله تشهد له ربوع حلب و فيافي شرق السكة و سهول الغاب و شمالي حماة لقد كان رحمه الله نموذجا يقتدي به المهاجرون في البذل و العطاء و التضحية و الدفاع عن أهل الشام بنفسه و ماله و حضوره المعامع و الملاحم من غير تردد و لا تلكؤ حتى ارتقى مقبلا غير مدبر في ساحات الوغى نحسبه و الله حسيبه و لا نزكيه على الله و إننا في الحزب الإسلامي التركستاني لنصرة أهل الشام نتقدم بالتعزية لأهله و عائلته ة إخوانه المجاهدين خاصة إخواننا في حلب فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فاصبروا واحتسبوا فنحسب أخانا قد أدى ما عليه حتى ارتقى شهيدا مقبلا غير مدبر ة الحمد لله على كل حال (ويتخذ منكم شهداء)

كتب الشيخ أبو الفتح الفرغلي على قناته في التليجرام : أسأل الله العظيم أن يتقبل أبا محمد المعتصم بالله المدني شهيدا.

الحمد لله الذي رزقه ما تمناه طويلا رزقه ما كان يتمناه رسول الله صلى الله عليه وسلم رزقه إياه في أفضل أيام السنة و على يد أبغض عباد الله إليه من نصيرية مرتدين و روس ملحدين اللهم تقبل منه نفيره و جهاده و بذله.

كان رحمه الله لا يتخلف عن معركة قط و تعجبت كثيرا حين وجدته يقتحم على الخوارج ليلا بنفسه في معارك شرق السكة و ينكل فيهم بيده أيما تنكيل و هو شرعي قطاع حلب و يصر على المشاركة ضد النظام النصيري و على الرباط عليه في نفس المعارك (وقت أن كان القعدة في الفنادق و الفارين من الزحف يقولون باعوها) وقد جعله الله سببا في تحرير كفرنبودة و قد أصر أيضا أن يقتحمها ليلا و كان لاقتحامه دور كبير في تحميس المجاهدين كما كانت له فعالية قتالية كبيرة على الأرض رغم إصابته في يده في معارك شرق السكة و وجود عجز فيها لم تشف بعد حتى اصطفاه الله اليوم على يد قصف جبان غادر.

كان رحمه الله من أهل العلم و الفضل والأدب الجم و يكره الظهور و الجدل و قد رفض تماما إنشاء قناة أو أي ظهور إعلامي ويعف عن الجدل عموما و عن جدل النت خصوصا و إني و الله الذي لا إله غيره فور سماعي بخبر مقتله ازداد يقيني بأن الله ناصرنا في هذه المعركة و أن نتيجتها محسومة لنا بإذن الله و حوله و قوته فقد عودنا الله سبحانه أن دماء الشهداء الغالية بشرى النصر المبين و الفتح العظيم.

و كتب الشيخ أبو الحارث المصري: إنا مسترجعون الله تعالى في مصابنا بشهيدنا المعتصم بالله تقبله الله شهيدا في عليين و خلفه في أهله في الغابرين فهنيئا لك يا معتصم اصطفاء مولاك (و يتخذ منكم شهداء)فإلى الله ننعاك و قد أجبت ربا دعاك و حسبنا الله و نعم الوكيل و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

و كتب الشيخ أبو مارية القحطاني على قناته: تقبل الله أخانا العابد المرابط الصابر الشيخ المعتصم المدني

الشيخ المعتصم من حيرة الإخوة طلبة العلم المهاجرين لم يترك غزوة من الغزوات إلا و كان في مقدمة الصفوف يسابق إخوانه المجاهدين وهذا ليس بجديد على أبناء بلاد الحرمين فلقد روت دماؤهم الطاهرة جميع ساحات الجهاد يبذلون مهجهم لنصرة الإسلام و المسلمين اللهم اغفر له

و ارحمـه و أكرمـه و أدخلـه فسـيح جناتـك و صبـر أهلـه و ذويـه و إخوانـه و محبيـه و إنـا لله و إنـا إليـه راجعـون و حسـبنا الله و نعـم الوكيـل .

و كتـب الشـيخ الزبيـر الغـزي على قناتـه: فقـدت الأمـة المسـلمة اليـوم الشـيخ المجاهـد المعتصـم بـالله المدنــي الشـرعي العـام لقطـاع حلـب و عضـو اللجنـة الشـرعية العامـة في هيئـة تحريـر الشـام حيـث قضـى مقبـلا غيـر مدبـر في سـاحات الوغـى و هـو يصـد أعـداء الله تعالـى و يـرد عاديتهـم عـن أمـة الإسـلام

ربيـب العلـم و الأدب و الكـرم حسـن المعشـر طيـب الخلـق حسـن السـيرة أحبـه كل مـن عرفـه مطـواع معطـاء مقـدام شـجاع لا يخشـى في الله لومـة لائـم لـه بصمـة في كثيـر مـن المعـارك يرتقـي اليـوم مقبـلا غيـر مدبـر و نبقـى نحـن في هـذه الدنيـا الحقيـرة فهنيئـا لـه جـوار ربـه في مطلـع العشـر الأواخـر مـن رمضـان نحسـبه شـهيدا و الله حسـيبه و لا نزكيـه على الله تعالـى.

و كتـب الدكتـور إبراهيـم شاشـو وزيـر العـدل على قناتـه: مـا زلـت أقـرأ في دهشـة هـذا الكـم الوافـر مـن المراثــي الطيبـة و النعـوت الحميـدة في حـق الشـهيد القاضـي و القائـد الهمـام و الشـرعي المقـدام المعتصـم بـالله المدنــي مهاجـر مدينـة سـيد الأنـام محمـد عليـه الصلاة و السـلام ممـا جعلنــي أتريـث في رثائـه إجـلالا لحضرتـه أن يرثـي مثلـي مـن كانـت هـذه سـيرته و احتقـارا لنفسـي أن يبلـغ مهاجـر في سـنه مـا لـم يبلغـه الكثيـرون مـن أصحـاب العلـم و الريـادة و السـيادة حتـى نـال أغلـى مـا يبتغيـه الطالبـون و يسـعى إليـه المجاهـدون فهنيئـا لـه الشـهادة رجـل بألـف رجـل أو يزيـد دخـل مـن كل أبـواب الخيـر مـا وجـد إلـى ذلـك سـبيلا حتـى بلـغ فيهـا المنتهـى في المجـال العسـكري بـرع و كان القائـد العـام لفصيلـه جيـش المهاجريـن و الأنصـار و في المجـال الشـرعي أبـدع و كان الشـرعي العـام لحلـب و في المجـال القضائــي أنصـف و كان عضـوا في المجلـس الأعلى للقضـاء أمـا سـاحات القتـال وكانـت ميدانـه أقـدم و كان مـع الانغماسـيين و تقـدم الصفـوف حتـى بـارز العـدو أمـا الشـهادة فطلـب مظانهـا حتـى نالهـا بأحسـن حـال و أشـرف مقـام صائمـا قائمـا صابـرا محتسـبا.

أحبـه كل مـن رآه أو جالسـه أو عاشـره أو عرفـه تواضـع للأنصـار و تقـرب منهـم حتـى أحبـوه و أنصفهـم حتـى وقـروه .

وعـاء علـم و أدب و تواضـع و زهـادة و عـدل و خلـق و تقـوى و ديـن تجـد فيـه أخـلاق النبـوة و معـدن الصحابـة و لطـف أهـل المدينـة المنـورة وسـخاء المهاجريـن و خلـق المجاهديـن و أدب المعلميـن و صبـر المرابطيـن و شـجاعة الانغماسـيين طابـت سـريرته فحمـدت سـيرته فللـه دره و على الله أجـره عزاؤنـا أننـا على دربـه سـائرون و على طريـق الجهـاد مثابـرون و إن أمـة فيهـا كالمعتصـم لـن تهـزم مـا بقـي فيهـا رجـل.

تقبـل الله شـهيدنا المعتصـم و أجـزل مثوبتـه و أعلى درجتـه و جمعنـا بـه في مسـتقر رحمتـه مـع الأنبيـاء و الصديقيـن و الشـهداء و الصالحيـن و حسـن أولئـك رفيقـا و إنـا لله و إنـا إليـه راجعـون

و كتـب الشـيخ أبـو عـزام الجـزراوي : بدايـة أعـزي نفسـي و إخوانـي و الأمـة باستشـهاد الشـيخ جعـل الله مثـواه في الفـردوس الأعلى و إن لله شـهودا في الأرض فيشـهد أهـل الجهـاد و تشـهد أرض المعـارك و باحـات العلـم على بذلـه و فضلـه و إخلاصـه.

مـن أعظـم مـا ابتليـت بـه السـاحات الجهاديـة فقرهـا بطلبـة العلـم الذيـن جمعـوا بيـن العلـم و الحكمـة و فقـه العمـل و الحركـة مـع الموازنـة بيـن المصالـح و المفاسـد و إن كان للرجـال معـادن فـإن شـهيدنا مـن الذهـب الأحمـر الـذي عـز وجـوده في هـذا الوقـت .

لسـت بصـدد مـدح الشـيخ فالمـدح في هـذا الموطـن قـد لا يفيـد شـيئا و لكـن حيـاة هـذا الرجـل في الجهـاد عبـرة و لـه وقفـات لا ينسـاها لـه القريـب و البعيـد .

المعتصـم بـالله المدنـي هـو مـدد لنهـر الـدم الـذي بـدأه نبـي الله محمـد صلـى الله عليـه وسـلم و لا زال هـذا النهـر يجـري و يـروي طريـق العـزة لشـجرة الإسـلام .

المعتصـم بـالله كان صفحـة مـن صفحـات التاريـخ المجيـد للأمـة كان رجـلا مبـاركا آتـاه الله الحكمـة و عصـم الله بـه خلقـا مـن فتنـة الغلـو جاهـد و صبـر حتـى لقـي الله مقتـولا على يـد أعدائـه فهنيئـا لـه

مـن تأمـل تاريـخ الـدول و الحضـارات يجـد أنهـا لـم تقـم إلا على أكتـاف رجـال قدمـوا و بذلـوا و صبـروا و المعتصـم بـالله كان ممـن تقـوم بـه قائمـة و ممـن يشـد بـه العضـد و أمثـال هـؤلاء ينـدر وجودهـم خاصـة في زمـن تصـدر فيـه الرويبضـة واؤتمـن فيـه الخائـن.

هـذا الديـن قـام على رجـال امتـلأت أوعيتهـم شـجاعة و كرمـا و كان رحمـه الله ممـن يتقصـد مظـان المـوت محتسـبا جاهـد الكفـار و الخـوارج و المفسـدين رحمـه الله مـن رجـل عـز وجـوده بيـن الرجـال ألحـظ كثيـرا خاصـة في أوقـات الفتـن أن قلبـه متعلـق بـالله و لا يهـاب شـيئا دونـه كان يكثـر مـن الدعـاء و الاسـتخارة إذا تـردد في أمـر.

فتحـت لـه قلـوب العبـاد لا لشـيء إلا لسـر بينـه و بيـن الله تعالـى و إنـي لأعجـب مـن حـب خصومـه لـه و ثقتهـم بـه يقـول الله تعالـى (مـن المؤمنيـن رجـال صدقـوا مـا عاهـدوا الله عليـه فمنهـم مـن قضـى نحبـه و منهـم مـن ينتظـر) هـذه الآيـة تذكرنـي بشـهداء أمتنـا و خاصـة شـهداء الشـام الذيـن كان لهـم أثـر في الجهـاد مثـل أبـي هاجـر الحمصي(أبـي عمـر سـراقب) و المعتصـم بـالله المدنـي رحمهمـا الله مـن قتيليـن صبـرا على المدلهمـات و صدقـا حيـن المواجهـة و قـالا قولتهـم التـي لا تـزال تـرن في الآذان تعجـز الكلمـات حقيقـة عـن تجسـيد مواقـف أمثـال هـؤلاء و إن فقدهـم سـيترك فراغـا كبيـرا في سـاحة الجهـاد و في قلـوب المجاهديـن و إن دماءهـم التـي سـفكت في هـذا الطريـق هـي معلـم و نـور لنـا حتـى لا نحيـد عنـه .

فـراق هـذا الرجـل محـزن لا لقربـه مـن القلـب فحسـب و لكـن لفقـد الأمـة أمثالـه ربمـا أن الأمـة لا تعرفـه و لكـن عرفـه أهـل الجهـاد الذيـن يسـتحثون المسـير لفجـر الأمـة .

في حيـاة الجهـاد يحـزن المـرء على فقـدان رفقـاء الـدرب و هـذا الموقـف يذكرنـا بغـزوة أحـد عندمـا استشـهد سـبعون مـن صحابـة رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم فأنـزل الله (ولا تحسـبن الذيـن قتلـوا في سـبيل الله أمواتـا بـل أحيـاء عنـد ربهـم يرزقـون فرحيـن بمـا آتاهـم الله مـن فضلـه ويستبشـرون بالذيـن لـم يلحقـوا بهـم مـن خلفهـم ألا خـوف عليهـم و لاهـم يحزنـون) تأمـل كلمـة فرحيـن فتحتهـا معـان عظيمـة .

ختـــامـــا: فـإن هــذا الرجـل كنــت ممــن أشــد عضـدي بــه و لا أنســى لــه موقفـا كنـا نتكلـم فيـه عــن الجهـاد و عــن حـال المجاهديـن فذكرنــي بآيــة و كأنــي أســمعها أول مـرة (فاســتجاب لهـم ربهـم أنــي لا أضيـع عمـل عامـل منكـم مـن ذكـر أو أنثـى بعضكـم مـن بعـض فالذيـن هاجـروا و أخرجـوا مـن ديارهـم و أوذوا في سـبيلي و قاتلـوا و قتلـوا لأكفـرن عنهـم سـيئاتهم و لأدخلنهـم جنـات تجـري مـن تحتهـا الأنهـار ثوابـا مـن عنـد الله و الله عنـده حسـن الثـواب)و ركـز في تلاوتـه على قولـه (وأوذوا في سـبيلي و قاتلـوا و قتلـوا لأكفـرن عنهـم سـيئاتهم).

اللهـم يـا حـي يـا قيـوم إن عبـدك المعتصـم بـالله ممـن هاجـر و جاهـد و قاتـل حتـى قتـل فاجـزه خيـر مـا جزيـت مجاهـدا و أنـت أكـرم الأكرميـن.

و كتـب الشـيخ عبـد الرحيـم عطـون (أبـو عبـد الله الشـامي) على قناتـه : فقـد الشـيخ المعتصـم ثلمـة في سـيف العلـم في الشـام.

قبـل يوميـن وصـل للشـيخ المعتصـم رحمـه الله خبـر مـن جهتـي غفـر الله لـي يفهـم منـه كونـي لا أرى أن يقتحـم مـع الإخـوة الاقتحامييـن فتواصـل معـي رحمـه الله مستفسـرا و دار بيننـا حـوار هـذا بعضـه الشـيخ رحمـه الله مستفسـرا: يـا شـيخ لمـاذا أنـت لسـت موافقـا؟ جوابـي: كتـب الله أجـرك شـيخنا و حفظـك أنـا مـن واجبـي أن أحافـظ عليـك و آخـذ بأسـباب ذلـك رغـم أن قـدر الله غالـب و لا يقصـر الاقتحـام مـن أجـل.

الشـيخ رحمـه الله: كمـا قلـت الأجـل محتـوم و مكتـوب و حقيقـة النفـع فيـه (أي الاقتحـام) على نفسـي الخاطئـة و على الإخـوة المقتحميـن ملمـوس فلعلكـم تأذنـون لـي و بالمناسـبة مـن يكـون في الخطـوط الخلفيـة معـرض للقتـل أكثـر مـن المقتحـم و هـذه معلومـة عنـد عامـة العسـكريين .

جوابـي : صحيـح أنـا واجبـي أن آخـذ بأسـباب الحفـاظ عليـك و أنـا على يقيـن أنـه لـن تمـوت نفـس حتـى تسـتكمل رزقهـا و أجلهـا حفظـك الله و أطـال عمـرك و رزقـك الشـهادة بعـد طـول عمـر و حسـن عمـل انتهـت المحادثـة و البارحـة في السـاعة الواحـدة إلا ثلـث ليـلا كلمـت الشـيخ المعتصـم رحمـه الله و تقبلـه في الشـهداء و كانـت آخـر مكالمـة بيننـا و الملتقـى الجنـة إن شـاء الله.

رحمـك الله يـا أبـا محمـد و طيـب ثـراك و جمعنـا بـك في أعلى علييـن مـع النبييـن و الصديقيـن و الشـهداء و الصالحيـن و حسـن أولئـك رفيقـا و نشـهد الله تعالـى يـا مـن أحببنـاك في الله أنـك كنـت مـن خيـرة مـن هاجـر إلينـا علمـا و عمـلا و دينـا و حكمـة و سـلوكا و دعـوة و جهـادا فرحمـك الله مـن شـيخ فاضـل طيـب خلـوق حكيـم مهاجـر مرابـط صائـم قائـم يـا شـيخ مهاجـرة الجزيـرة على أرض الشـام كنـت تطلـب القتـل في سـبيل الله و تتعـرض لـه فاصطفـاك الله شـهيدا كمـا نحسـبك في العشـر الأواخـر مـن رمضـان صائمـا قائمـا مجاهـدا مرابطـا فهنيئـا ثـم هنيئـا لـك.

يعـز علـي يـا أبـا محمـد أن أراك مجنـدلا تحـت نجـوم السـماء و لقـد أنكـرت نفسـي بعـد أن دفنتـك بيـدي أسـأل الله أن ينـزل على قبـرك شـآبيب رحمتـه و سـحائب فضلـه و على آلـك و علينـا الصبـر و الرضـا و السـلوان فاللهـم أجرنـا في مصيبتنـا و اخلـف لنـا خيـرا و لا نقـول إلا مـا يرضـي الله و إنـا لله و إنـا إليـه راجعـون .

و كتـب الدكتـور مظهـر الويـس على قناتـه: استشـهاد الشـيخ المعتصـم المجاهـد الخلـوق المهاجـر المعتصـم بـالله المدنـي عضو المجلـس الشـرعي في هيئـة تحريـر الشـام صاحـب الهـم و الهمـة و العلـم و الحكمـة و الحـرص و بعـد النظـر رحمـه الله تعالـى رحمـة واسـعة و تقبلـه عنـده في جنـان الخلـد مـع النبييـن و الصديقيـن نحسـبه أنـه هاجـر و جاهـد بعلمـه و بندقيتـه يتقـدم الصفـوف بنفسـه متقحمـا المخاطـر في سـبيل الله و في معركـة كفرنبـودة أبلـى بـلاء حسـنا ضاربـا أروع الأمثلـة لصاحـب العلـم الشـرعي الـذي يجمـع بيـن جهـاد اللسـان و جهـاد السـنان مقتديـا بالسـلف الصالـح رضـي الله عنهـم .

نحسـب أنـك يـا أبـا محمـد قـد أديـت مـا عليـك جهـادا و نصـرة و بـذلا و عطـاء و هجـرة و تعليمـا و إرشـادا و نرجـو مـن الله أن يتقبلـك عنـده في علييـن إنـه نعـم المولـى و نعـم النصيـر و هـو حسـبنا و نعـم الوكيـل.

وكتـب أيضـا :رحـم الله أخانـا الشـيخ المجاهـد المهاجـر المعتصـم بـالله المدنـي فلئـن رحـل عنـا بجسـده فمآثـره فينـا حاضـرة و كلماتـه هـادرة وهاهـم اليـوم إخوانـه المجاهـدون على نفـس الطريـق يحثـون الخطـى مسـتلهمين مـن ذكـراه و ذكـرى الشـهداء كل معانـي البطولـة و الإقـدام.

و كتـب الشـيخ أبـو شـعيب المصـري على قناتـه في التليجـرام تحـت عنـوان و استشـهد فـارس المدينـة النبويـة المعتصـم بـالله رحمـه الله: لـم أكـن أعلـم عندمـا جلسـت معـه قبـل شـهر نتسـامر بذكـر المدينة النبويـة و ربوعهـا و معالمهـا و جنبـات الحـرم النبـوي الشـريف و يقـص علـي أيـام الطلـب أنهـا نفثـات مـودع و أشـواق منقطـع عـن الدنيـا مسـتقبل الـدار الآخـرة .

رأيتـه يومهـا يقـص علـي بانشـراح عجيـب كيـف توفـرت لـه فرصـة للتدريـس في المسـجد النبـوي الشـريف و في الجامعـة الإسـلامية و لكنـه قـدم النفيـر للجهـاد على المجـاورة بالمسجد النبـوي المبـارك لعلمـه بحاجـة السـاحة لطـلاب العلـم الشـرعي .

عرفـت الشـيخ المعتصـم رحمـه الله في سـنة 2014 و كنـت أزوره في بيـت الشـرعيين بحريتـان و زارنـي كذلـك في حلـب بالسـكري فعرفـت فيـه الأدب الجـم و الخلـق الحميـد و حسـن المعشـر و صـدق الحديـث ثـم ازدادت معرفتـي بـه بعـد الخـروج مـن حلـب فعرفـت فيـه القائـد الحـازم و الفـارس النبيـل و الأميـر التقـي ثـم رأيتـه في المعـارك فلـم أر شـرعيا في شـجاعته و إقدامـه يتقـدم الصفـوف و ينغمـس في الأعـداء و يشـتبك معهـم عـن قـرب و يخيـم أيـام المعـارك في سـاحات الوغـى لا يـكاد يعـود لبيتـه إلا لمامـا ثـم عاملتـه في القضـاء فوجدتـه قويـا في الحـق يضـرب بيـد مـن حديـد على المعتـدي لا يحابـي كبيـرا و لا ينافـق أميـرا و لا يرقـع لظالـم و أحسـبه رحمـه الله مـن الأخفيـاء ممـن لهـم حـال مـع الله تبـارك و تعالـى لا يحـب أن يعـرف بيـن النـاس و لا أن يذكـر و أذكـر أنـه عنـد الإعـداد لإنشـاء إذاعـة البنيـان عرضـت عليـه عـدة مـرات تحصيـص برنامـج إذاعـي لـه و لكنـه رحمـه الله كان يمتنـع و يؤثـر عـدم الشـهرة و كان رحمـه الله جديـرا بـأعلى الإمـارات و أكبـر الولايـات ولكنـه رحمـه الله زهـد فيهـا و في المتنافسـين عليهـا فألقـى الله عليـه محبـة الجميـع فـكان رحمـه الله سـلطانا يخضـع الأمـراء هيبـة لـه و إجـلالا

كان لـه رحمـه الله مـن اسـمه نصيـب فتجـده معتصمـا بـالله تبـارك وتعالـى وحـده لا شـريك لـه لا يعلـق القلـب بسـلاح و لا ذخيـرة و لا جماعـة و كان مـن آخـر مـا كتبـه عـن تحريـر كفرنبـودة (يـا إخوتـي الأفاضـل احـذروا مـن تـداول هـذه المنشـورات التـي تدخـل إلـى القلـب العجـب و الغـرور و الاعتـداد بالنفـس فـو

الله مـا كان الاقتحـام على كفرنبـودة إلا فاشـلا لـولا لطـف الله و معيتـه و تسـديده للمجاهديـن و قـذف الرعـب في قلـوب الكافريـن فأكثـروا مـن ذكـر فضـل الله علينـا و أكثـروا مـن التسـبيح و الاسـتغفار عـل الله أن يتمـم علينـا نصـره و فتحـه و تأييـده).

جعلـه الله تعالـى مـن أهـم أسـباب تحريـر كفرنبـودة فرغـم أنـه مصـاب إلا أنـه اقتحـم في الصـف الأول و صبـر و صابـر و قتـل مـن الأعـداء الكثيريـن حتـى فتـح الله جـل و عـلا القريـة على المجاهديـن.

اللهـم ارحـم عبـدك المعتصـم بـالله و تقبـل عملـه و أدخلـه فسـيح جناتـك يـا رب العالميـن و ألهـم والديــه وأولاده و أهلــه و أحبابــه الصبــر و الســلوان و إنــا لله و إنــا إليــه راجعــون.

و كتـب الشـيخ أحمـد سـالم البـدراوي : استشـهاد الشـيخ المعتصـم بـالله المدنـي عضـو المجلـس الأعلى للقضـاء بالعـدل: نعـزي أنفسـنا و إخواننـا جميعـا في استشـهاد الشـيخ المعتصـم في قصـف الـروس و عملائهـم اليـوم على جبهـات حمـاة و الشـيخ تقبلـه الله في الشـهداء دخـل منغمسـا في تحريـر كفرنبـودة ثـم رابـط حتـى استشـهد و الشـيخ يذكرنـي بالصديـق أبـي بكـر أسـأل الله أن يدعـوه مـن أبـواب الجنـة أيهـا شـاء فهـو مـن يشـارك في كل عمـل صالـح حتـى يـكاد يبلـغ فيـه المنتهـى و هـو مـن أهـل العلـم و الاجتهـاد قضـاء و فتـوى و مـن أهـل العمـل و الهجـرة و الجهـاد انغماسـا و رباطـا و هـو القائـد حتـى قـاد فصيـلا و هـو الإداري و هـو الانغماسـي الـذي لا يـكاد يغيـب عـن معركـة و هـو الشـرعي و هـو المفتـي و هـو القاضـي فأسـأل الله أن يقبـل منـه و أن يتقبلـه علـم و خلـق و شـجاعة و نحسـبه مـن المخلصيـن.

و حدثنـي الشـيخ في آخـر أيامـه أنـه قـد جـاء بأوراقـه و تقـدم لكليـة الشـريعة بإدلـب لعلـه يناقـش الماجسـتير ثـم أجـل الأمـر لحيـن الرجـوع مـن المعركـة ذلـك رغـم أننـي أقـدم الشـيخ على كثيـر مـن دكاتـرة الشـريعة خاصـة بعـد أن أمضـى بعـد طلبـه العلـم سـنين في الاجتهـاد لمـا يقتضيـه ظـرف الجهـاد فحقـق الغايـة التـي تكـون الماجسـتير و الدكتـوراة وسـائل لطلـب الوصـول إليهـا و لعلـه نـال اليـوم أعلى شـهادة في الدنيـا و الآخـرة هـي خيـر مـن الماجسـتير الـذي كان ينتظـر و مـن كل الشـهادات تقبـل الله الشـيخ في الشـهداء و أخلـف المجاهديـن خيـرا و ألحقنـا و قبلنـا في الشـهداء.

و كتـب أبـو العبـد أشـداء إداري جيـش عمـر: (ولا تحسـبن الذيـن قتلـوا في سـبيل الله أمواتـا بـل أحيـاء عنـد ربهـم يرزقـون) هنيئـا لشـيخنا المبـارك أسـأل الله أن يتقبلـه و يتقبـل منـه إنـا لله و إنـا إليـه راجعـون عندمـا تكلمـت عـن معركـة كفـر نبـودة و قلـت : أنـي رأيـت أحـد أعضـاء المجلـس الشـرعي في الهيئـة و أنـه قتـل عـددا كبيـرا مـن أعـداء الله كنـت أقصـد الشـيخ المعتصـم تقبلـه الله و لكنـه رفـض أن أكتـب اسـمه و قـال: لا تعـن الشـيطان علـي.

أكرمنـي الله برفقتـه في المعركـة و والله إنـي لأظـن أنـه قتـل أكبـر عـدد مـن أعـداء الله و كان أشـجعنا و أثبتنـا تقبلـه تواضـع و أخـلاق و شـجاعة لـه محبـة كبيـرة في قلـوب المجاهديـن.

اللهـم أجرنـا في مصيبتنـا و أخلـف لنـا خيـرا منهـا و بـإذن الله سـيكون دمـه نـارا على أعـداء الله و نـورا لأوليائـه وأنصـاره .

و كتـب الشـيخ أبـو اليقظـان المصري على قناتـه: الشـيخ المعتصـم بـالله المدنـي صاحـب الخلـق و ربيـب

بيت العلم و الأدب من مدينة رسول الله إلى أرض الجهاد و الرباط يغادر دنيانا في أول الأيام العشر المباركة ربح البيع ربح البيع ربح البيع اللهم تقبل عبدك في الشهداء و خيره من الحور حيث شاء.

و كتب الشيخ المحيسني في قناته: إنا لله و إنا إليه راجعون لقد ثلم الجهاد الشامي اليوم ثلمة و ثلم المهاجرون و الأنصار بأخ حبيب و طالب علم مهاجر مجاهد قمر من أقمار مدينة رسول الله عرفته قبل خمس سنين فأحببته في الله و ازددت له محبة لما عاشرته فرأيت أسدا مقداما لا يتخلف عن غزوة في سبيل الله أصيب مرات عديدة فلا تكاد تبرأ له إصابة حتى يصاب أخرى لا يقصد في مظلمة إلا انبرى لها حتى ينصف صاحبها عن الشيخ المجاهد الشهيد المعتصم بالله أتحدث فإنا لله و إنا إليه راجعون و إن العين لتدمع و إن القلب ليحزن و إنا لفراقك يا حبيب القلب لمحزونون استشهد المعتصم هنا تنقطع العبارات و تسيل العبرات و لا نقول إلا ما يرضي ربنا الحمد لله الحمد لله و لأهل الشام و أهل مدينة رسول الله و للمهاجرين و الأنصار و لنفسي و إخواني و لأهله و أحبابه جميعا عظم الله أجرنا و أجركم.

و كتب الشيخ مصلح العلياني في قناته: إنا لله و إنا إليه راجعون رحل المجاهد المهاجر طالب العلم الوقور المعتصم بالله المدني تقبله الله هنيئا له هذا الشرف العظيم و هذه المكانة التي فاز بها أن ختم الله جهاده بالموت في سبيل الله.

تعجز الكلمات و تتبعثر الأحرف لفقد رمز من رموز المهاجرين في الساحة الشامية أحسن الله عزاء أهله و إخوانه في بلاد الحرمين و أحسن الله عزاءنا في بلاد الشام اللهم أجرنا في مصيبتنا و اخلفنا خيرا منها و اجمعنا به في جنات النعيم آمين.

و كتبت : نسأل الله تبارك و تعالى أن يتقبل الله الشيخ المعتصم بالله المدني في الشهداء و أن يرفع درجته في الجنة و أن يعوض الأمة خيرا عن فقده.

الشيخ المدني من أكثر من رأيت أدبا و من أحسنهم خلقا و أشجعهم فؤادا و ألينهم عريكة هنيئا له الشهادة و أسأل الله أن يصبر أهله و ذويه و أن يربط على قلوبهم.

يقول عنه الشيخ أبو إبراهيم سلامة: الشيخ المعتصم قد ربانا و قد خسرنا بفقده أخا شرعيا و قائدا عسكريا و أميرا فذا و معلما عظيما و رمزا من رموز التضحية و الجهاد و البذل و العطاء.

ويقول العسكري حماش: الشيخ لم يكن شرعي حلب فقط بل كان الأب المربي و الأخ السند وكالأم بحنانه و عطفه و شفقته.

و ختـــامـــا : فقـد كان الشـيخ المعتصـم نعـم القائـد و نعـم المجاهـد و نعـم القاضـي ونعـم الشـرعي ونعـم الـزوج و نعـم الأب و نعـم الأخ للمجاهديـن ألقـى الدنيـا خلـف ظهـره و هاجـر إلـى ربـه تبـارك و تعالـى يلتمـس رضاه و يجاهـد مـن أجلـه و يسـأله أن يختـم لـه بالشـهادة فاسـتجاب الله دعـاءه فقتـل في معـارك حمـاة مقبـلا غيـر مدبـر فرحمـه الله رحمـة واسـعة و تقبـل منـه جهـاده و أعلى درجتـه في الجنـة و رزق أهلـه الصبـر و السـلوان .

و حــري بنـــا أن نربــي أولادنـــا على ســيرة أمثـــال هــذا البطـل المجاهــد ليســيروا على خطــاه ويتابعــوا مســيرته و يحملـوا اللـواء مــن بعــده.

هـذا مـا يسـر الله جمعـه و ترتيبـه فمـا كان مـن صـواب فمـن الله وحـده لا شـريك لـه و مـا كان مـن خطـأ أو زلـل أو نقصـان فمـن نفسـي ومـن الشـيطان و رحـم الله امـرأ رأى خطـأ فدلنـي عليـه فالنقـص مـلازم للإنسـان و الحمـد لله رب العالميـن.

الفهرس